كتاب «المذكر والمؤنث»

لأبي حاتم السجستاني

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

كلية بغـــداد / جامعة الموصل

الرجل :

هو ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني (١) ، (ت ٢٥٥ هـ) البصري الراوية اللغويّ (٢) المقرئ المفسّر المحدّث النحويّ (٣) .

أخذ عن طائفة من شيوخ عصره المرموقين ، وفيهم : أبو زيد الأنصاري ، والأصمعيّ ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، ويعقوب بن اسحاق الحضرميّ ، والاخفش الاوسط . وتلمذ له ابن قتيبة وابن دريد ، وسواهما .

وقد أحصى له عدد من الباحثين ما ترك من آثار ، وكان أوفاهم صنيعاً محقق كتاب (فعلت وافعلت) حيث انتهت عنده الى ثمانية وأربعين كتاباً (٤) .

الكتاب :

هو أجلّ كتب أبي حاتم وأخطرها أثراً في الدرس اللغويّ ، وأوسع

---

(١) النسبة الى سجستان في اطراف خراسان ، وهو من قبيلة جشم العربية صليبة او ولاء .

(٢) أعد بحثا لكشف هذا الجانب .

(٣) زعم ابن خلكان (الوفيات ٤٣١/٢) انه لم يكن حاذقا في النحو ، وكان اذا اجتمع بالمازني تشاغل او غادر المجلس خشية ان يسأله في النحو . وهذا القول منقوض بما أورده السيرافي (اخبار النحويين البصريين ٥٥) والزبيدي (الطبقات ١٠٠) من أن له كتاباً في النحو ، وقد عده الأول في الطبقة الثانية من النحويين البصريين ، وسلكه الثاني فيهم ، وزعم أنه روى علم سيبويه عن الاخفش ، وانه قرأ الكتاب مرتين ، وكانت تقرأ عليه كتب الاخفش فيرد رداً حسناً .

(٤) ينظر : مقدمة (فعلت وافعلت) ص ٣ فما بعدها .

كتب التذكير والتأنيث الأُمّات لمعاصريه .

ولم يعرّف بنسخته النفيسة الفريدة التي لا ثانية لها في العالم سوى الدكتور نهاد جتين (٥) ، والدكتور رمضان عبدالتوّاب ، وهي ضمن مجموع رقمه ٢٩٥ تحتفظ به مكتبة (يوسف أغا) بقونية ، وعدد صفحاتها ثمان ومئتا صفحة ، في كلّ صفحة ثلاثة عشر سطراً ، متوسط كلمات كل سطر تسع كلمات (٦) .

تحقيق نسبة الكتاب :

أجمع اصحاب التراجم والطبقات المتقدمون أنّ لأبي حاتم كتاب « المذكر والمؤنث » لم يشذّ على هذا الإجماع أحد ، وورد في « مجالس العلماء » للزجّاجي (٧) أنّ أبا حاتم اجتمع هو والتوّزيّ عند الأخفش الأوسط ، فقال له التوّزيّ :

ما صنعت في كتاب المذكر والمؤنث ؟ فأجابه أبو حاتم : قد عملت في ذلك شيئاً . ومن ثمةّ كان العلماء المعاصرون لأبي حاتم يعرفون يقيناً انصرافه الى تصنيف كتاب في التذكير والتأنيث ، وليس من المنطق في شيء أن يكون كتاباً يسيراً صغيراً ، كما صار شأن ما صنّفه كثير من اللغويين فيما بعد ، وشأن الرسالة المختصرة المنسوبة إليه خطأ .

وقد أصبح الكتاب حقاً مصدراً خطير الأثر في كتابين هما أجلّ الكتب المصنّفة في هذا الميدان هما : كتاب المذكر والمؤنث لأبي بكر بن الأنباريّ ،

(٥) أطلعني الدكتور نهاد جتين عليها محققة حين زرته أنا والصديق الدكتور حاتم الضامن في معهد الدراسات الشرقية باستانبول صيف عام ١٩٧٥ ، وأعارني مشكوراً مصورة لها ، كانت مناط هذا البحث ، وآخر سيأتي ، وينظر : مجلة الشرقيات ١/٩٣ — ٩٧ .

(٦) مقدمة مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ٢٤ ، وأعاد الاشارة اليه في كتب تالية ، وهو يتحدث عن تراث العربية في التذكير والتانيث .

(٧) المجلس ٢١/ ص ٥٠ .

وكتاب المخصّص لابن سيدة ، فقد نقلا عنه نصوصاً كثيرة (٨) ، وجدتها كلّها في كتاب أبي حاتم حذو القذّة بالقذّة أحياناً ، وبتغيير طفيف أحياناً اخرى (٩) . لعل مردّ ذلك الى أنّهما اعتمدا على نسختين أُخريين غير النسخة التي بين أيدينا .

أمّا إذا عدنا الى النسخة المخطوطة من الكتاب ، وهي موضوع بحثنا لفحصها فحصاً داخلياً ، فإنّنا نجد :

١ . أنّه كُتِب على صفحة العنوان :

« كتاب المذكر والمؤنث تأليف أبي حاتم سهل بن محمد السجستانيّ» ، والنسبة واضحة صريحة ، والاسم واضح صريح .

٢ . وأنّ الكتاب مقابل على أصل ، وقد تمّت المقابلة بتاريخ يلي سنة ثلاث مئة وأظنّها سنة ست وثمانين على أبعد احتمال ، فقد ورد في ختام الورقة الأخيرة عبارة كان واضحاً منها :

« تمّت المقابلة في   ن ربيع الآخر من سنة   وثلثماية» .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وقد وجدت في الصفحة الأخيرة من كتاب سابق من المجموع ، بالخط الذي كتبت به هذه العبارة ما يأتي :

« وفرغت من قراءتي هذا الكتاب علي أبي الحسين علي بن أحمد بن محمد

(٨) الذي اراه ان صاحب المخصص قد نقل ما نقله من كتاب ابي حاتم عن طريق كتاب ابن الانباري ، للتماثل الذي يصل احيانا الى حد التطابق بين عبارتي ابن الانباري وابن سيدة المنسوبتين الى ابي حاتم والاختلاف بينهما وبين عبارة ابي حاتم في نسخة كتابه التي بين يدي ، او ان تكون النسخة التي اعتمدها ابن سيدة منسوخة عن نسخة ابن الانباري ينظر على سبيل التمثيل : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، والمخصص ١١٩/١٧ .

(٩) ينظر المذكر والمؤنث وهوامشه على سبيل التمثيل : ص ١٤٣ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ . والمخصص ١٠٠/١٦ ، ٣٥/١٧ ، ٤٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ .

ابن جعفر بن محمد المهلبيّ (١٠) في رجب من سنة أربع واربعين وثلثماية ... »، وهذا دليل على وثاقة النسخة من حيث مقابلتها وضبطها وقدمها ، ومن حيث خطّها النفيس الواضح الذي يرقى الى القرن الرابع الهجريّ .

٣ . وأنّ الكتاب برواية أبي الحسن (لعلّه الاخفش الصغير عليّ بن سليمان اذ جاء فيه ما نصه (ق ١٣٦ ب) .

« قال ابو الحسن : انشدنا أبو العبّاس المبرّد عن الزيّادي عن الأصمعي في تأنيث البعير :

لا تبتغــي ابــن البعيــر وعنــدنا عــرق الزّجــاجة

ومعلوم أنّ كثيراً من رواة الكتب يقحمون فيها شيئاً من أقوالهم أو من رواياتهم وهو ما فعله الأخفش نفسه في روايته لنوادر ابي زيد ، وكامل المبّرد .

٤ . وقد ذكر أبو حاتم أخذه عن أبي زيد الأنصاريّ (١١)، والأصمعيّ (١٢) والأخفش الأوسط (١٣)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (١٤) ، وتتفقّ الكتب التي ترجمت لأبي حاتم ، أو ترجمت لهم على اتّصاله بهم .

أمّا كتاب « المذكر والمؤنث » المنسوب الى أبي حاتم ، وقد نشره أستاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي في مجلة « رسالة الاسلام » العددين ٧ ، ٨ ، ثم نشرته الدكتورة ابتسام مرهون الصفّار في مجلة « البلاغ » .

(١٠) نزيل مصر ، كان أديباً لغوياً نحوياً ، روى عنه المصريون واكثروا ، وتنافسوا في خطه والرواية عنه (الإنباه ٢/٢٢٢) .

(١١) المذكر والمؤنث ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ .

(١٢) ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٥ .

(١٣) ١٥٧ ، ١٧٩ .

(١٤) ١٧٨ .

أقول : أما هذا الكتاب ، فإن الشكّ يخترم نسبته إلى أبي حاتم السجستانيّ لما يأتي :

١ . لم يذكر من ترجم له أنّ له كتاباً مختصراً في التذكير والتأنيث بازاء كتابه « المذكر والمؤنث » .

٢ . وأنّ ما كتب على صفحة العنوان هو « كتاب التذكير والتنيث للعلاّمة أبي حاتم رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين . هو محمد شمس الدين أبو حاتم السجستانيّ رحمه الله ، ونفعنا ببركاته . آمين . » وعلى هذا العنوان كلّه ملاحظ :

آ . أنّ العنوان هو (كتاب التذكير والتأنيث) لا المذكر والمؤنث وتسمية الرسالة المحقّقة باسم (المذكر والمؤنث) تصرّف بالعنوان غير مباح.

ب . لم يعرف المترجمون ولا غيرهم لأبي حاتم لقباً هو (شمس الدين) ولم يكن اسمه محمداً ، بل هو سهل بن محمد .

ج . أنّ العبارة برمّتها هي عبارة المتأخرين .

٣ . وحين نعود الى النّص المنشور ، ووصف مخطوطته — على ما ذكر المحقّقان — وعلى اللوحين المنشورين منه ، نجده غفلاً من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، كما أنّ ناسخه قد أمعن في العناية باخراجه منسوخاً بخط الثلث الجليّ ، وهو خطّ يتأخر كثيراً عن تاريخ نسخ مخطوطة (المذكر والمؤنث) التي ندرسها .

ويلي البسملة في مطلع الرسالة عبارة : (اختصار التذكير والتأنيث) وهذه العبارة مختلفة عن عنوان الغلاف ، وعن العنوان الذي وضعه المحقّقان .

وبعد ، أفهذا النصّ : هو مختصر لكتاب أبي حاتم (المذكر والمؤنث) ؟ من اختصره ؟ أم هو كتاب آخر له أو لغيره ؟

حين عدت الى الاختصار والكتاب أوازن بينهما ، وقفت على :

١ . اختلاف في ترتيب المواد المذكرة والمؤنثة بين الاختصار والكتاب .

٢ . وورود ألفاظ في الاختصار ليس لها ذكر في الكتاب .

٣ . واحتواء الكتاب على الفاظ شتىّ خلا منها الاختصار .

٤ . وأنّ الاختصار ليس اختصاراً ، بل هو التقاط هيّن يسير .

ومن ثمّة رجح عندي أنّ الاختصار ليس لأبي حاتم ، لم يضعه وضعاً منفصلاً ، ولم يجرّده من كتابه ، كما لم يختصره أحد من كتاب ابي حاتم .

ولعلّه من وضع شخص لا يعرف من اسمه إلاّ (محمد شمس الدين) فأضاف إليه الناسخ اسم (أبي حاتم السجستانيّ) وهماً أو جهلاً أو ترويجاً له .

وعلى هذا ، فإنّ ما ذكره الدكتور رمضان عبدالتوّاب من (أنّ منه مختصراً مخطوطاً بدار الكتب) ، وهو يشير إلى الاختصار ، قول مرسل إرسالاً بلا قرينة ، وهو معتمد على فرض لم يتحقّق من صدقه ، إذ إنّ إشارته إلى وجود مخطوطة كاملة من كتاب « المذكر والمؤنث » بقونية (١٥) مستفادة – في تقديري – ممّا كتبه الدكتور نهاد جتن (١٦) ، ولم يتسنّ له أن يوازن بين الكتابين ، ولو وازن إذن لكان له قول آخر .

وقد تحدث الدكتور رمضان بعدُ عن الاختصار ، فقال : « وكتب تحته : « هو محمد شمس الدين أبو حاتم السجستانيّ ، وهو تحريف عجيب ، صوابه : (سهل بن محمد ابو حاتم السجستانيّ) » .

وليس الأمر كما ذكر ، وقد بينّت السبب واضحاً ، وإذا عرف السبب بطل العجب ، كما يقولون .

(١٥) مقدمته لمختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ص ٢٤ .
(١٦) مجلة الشرقيات / العدد ١/٨٧ – ١١٨ .

مصادره :

تتحدّد مصادر أبي حاتم في كتابه :

آ . فيما سمعه هو أو رواه عن العرب .

ب . فيما سمعه أو رواه عن اللغويّين البصريّين : أبي زيد الأنصاري والأصمعي : والأخفش الاوسط ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ويونس ابن حبيب (١٧) .

وكانت روايته عنهم ، سوى يونس ، بقوله : (سمعت) و(سمعت من) و (أخبرني) و (حدّثني) و (زعم) و (قال) و (سألت) و (أنشدني) و (أنشدنا) .

وسأذكر فيما يأتي جميع ما أفاده من هؤلاء منسوقاً على الصفحات محققاً ومعارضاً على النظائر :

أولا : أبو زيد الأنصاري .

١ . « وحدّثني ابو زيد الانصاريّ أنّ رؤبة بن العجاج كان يقول للبِرْذَون قرّب ذلك الدابّة ، لانّ الدابة للذكر والانثى . » (١٧)

٢ . « واخبرني أبو زيد أنّ العرب تقول صبيّ يتيم للذي مات أبوه وأمّا اليتيم من الدوابّ فالذي ماتت أمّه . » (١٨)

٣ . « وحدّثني ابو زيد الانصاريّ انّه سمع من بعض العرب : وكيلات ، وحرّيات وعدلات . » (١٩)

---

(١٧) ١١٦ أ ، في الاصل (قرد) موضع (قرب) ، تحريف . وفي اللسان (دبب) ٣٥٧/١ انه ذكر عن رؤبة انه كان يقول : قرب ذلك الدابة لبرذون له . وذكر انه يقع على المذكر والمؤنث وحقيقته الصفة .

(١٨) ١١٨ ب ، وفي اللسان (يتم) عن ابن السكيت ان اليتم في الناس من قبل الاب . وفي البهائم من قبل الام .

(١٩) ١٢٢ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ١٤٩ : « وقال ابوزيد الانصاري : سمعت العرب تقول : وكيلات ، فهذا يدل على وكيلة ». وفي المخصص ٣٦/١٧ :=

٤ . « فقالوا : هذا كمء ، وهذان كمآن ضخمان ، وهذه ثلاثة اكمؤ ، قال ابو زيد الأنصاريّ : من العرب من يقول للواحدة والجمع بالهاء وكذلك الجبأة للكمأة الحمراء ، يقال : هذا جبؤ هذان جبآن وثلاثة اجبؤ ، والجمع الجبأة ، وقالوا للكمى الابيض : هذا فَقْع وثلاثة أفقُع ، وهو الفَقْعة . قال ابو زيد : وربّما قالوا للجميع الفُقوع . » (٢٠)

٥ . « وفَصّ الخاتم مفتوح ، وزعم ابو زيد أنّ الكسر لغة ، وكذلك كان يقول في حَجر المرأة انّه قد يقال : حِجر . » (٢١)

٦ . « والعنق مذكر ، وزعم الاصمعيّ انّه لا يعرف التأنيث فيه ، وذلك الكلام المشهور ، ورغم ابو زيد انّه يؤنث ويذكر » (٢٢) .

= « وربما ادخلوا الهاء فأضافوا ، فقالوا : فلانة اميرة بني فلان ، وكذلك وكيلة وحرية ووصية ، وسمع من العرب وكيلات . فهذا يدل على وكيلة ... وقال : هي عديلي وعديلتي بدليل ماحكاه ابو زيد من قولهم : عديلات » .

(٢٠) ١٢٩ ب ، ١٣٠ أ ، وفي التكيملة للفارسي ٣٥٩ : قال ابوعمر (يعني الجرمي) سمعت يونس يقول : هذا كمء ، كما ترى للواحد الكمأة فيذكرونه فاذا ارادوا جمعه قالوا : هذه كمأة . قال ابو زيد : قال منتجع : كمء واحد ، وكمأة للجمع ، وقال ابو خيره : كمأة للواحدة ، وكمء للجميع ، فمر رؤبة بن العجاج ، فسألوه ، فقال : كمء وكمأة ، كما قال منتجع . وفي اللسان (كمأ) : وحكى عن ابي زيد ان الكمأة تكون واحدة وجمعا . وفي الصحاح : تقول هذا كمء ، وهذان كمآن ، وهؤلاء اكمؤ ثلاثة . .. وقيل : الكمأة هي التي الى الغبرة والسواد ، والجبأة الى الحمرة ، والفقعة البيض .

(٢١) ١٣٩ ب ، وفي اللسان (فصص ٣٣٤/٨) : وفص الخاتم وفصه بالفتح والكسر وفيه . (حجره /٢٣٩) : وحجر الانسان وحجره بالفتح والكسر ... يقال : حجر المرأة وحجرها حضنها .

(٢٢) ١٤٠ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٢٩٢ : « وقال السجستاني : زعم الاصمعي انه لا يعرف التأنيث في العنق ، وزعم ابو زيد انه يؤنث ويذكر قال السجستاني : والتذكير الغالب عليه . » وفي المذكر والمؤنث للفراء ٧٣ ، انها مؤنثة في قول اهل الحجاز ، وهي كذلك عند ابي موسى الحامض (ما يذكر ويؤنث من الانسان واللباس ٢٧) ، ويجوز فيه التذكير والتأنيث عند ابن الانباري ٢٩٢ ، وابي البركات في البلغة ٧٢ .

٧ . « وانشدنا ابو زيد لأبي الاخذم التميمي :

مقلّصاً بالدرع ذي التغضّنِ (٢٣)

٨ . « والفردوس مذكر ، سمعت ابا زيد يذكر ذلك . » (٢٤)

٩ . « والذراع مؤنّثة ، وقد ذكّره بعضهم ، واللغة الجيّدة التأنيث ، سمعت اللغتين من ابي زيد . » (٢٥)

١٠ . « وامّا ابو زيد فكان يقول لنا كثيراً : في الجسد اربعة اشياء تؤنث وتذكر الذراع والقفا والعنق واللسان . » (٢٦)

١١ . « وانشد ابو زيد في أحجية معاياة ، وهو يعني الاسنان :

وسربِ ملاحٍ قد رأينا وجوهَهُ إناث أوانيه ذكورٌ أواخرُهْ . »(٢٧)

١٢ . ويقال مؤنثتان ، فاذا نزعوا حرف التأنيث ذكروا ، فقالوا : وانشدنا ابو زيد:

(٢٣) ١٤٦ ب ، وذلك على تذكير الدرع ، وهو لغة تميم ، وثمة خلاف فيما نقله ابن الانباري ٣٥١ ، ٣٥٢ عن السجستاني ، اذ قال : « وقال السجستاني : انشدنا ابو زيد والاصمعي لابي الاخزر الحماني : وذكر الرجز ، غير ان ابا حاتم نسبه الى ابي الأخزر في ص ١٢١ ، والدرع عنده مؤنثة .

(٢٤) أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٧١ : « وقال السجستاني : سمعت أبا زيد يذكر الفردوس ، ويحتج بقولهم : الفردوس الأعلى . » وهو كذلك عند ابن جني في المذكر والمؤنث له ١٤ ، ويذكر ويؤنث عند ابن الانباري ٣٧ ، ومعناه البستان ذو الكرم ، معرب عند أغلب أهل اللغة ، عربي عند الفراء وابن الانباري .

(٢٥) ١٤٩ ب ، وفي : ابن الانباري ٣٠٢ : « وحكى السجستاني عن أبي زيد انه قال : الذراع يذكر ويؤنث . »

(٢٦) ١٥٤ أ ، وفي : ابن الانباري ٣٠٨ : « وقال السجستاني : كان ابو زيد يقول كثيراً : في الجسد اربعة اشياء تذكر وتؤنث : الذراع ، واللسان ، والعنق ، والقفا . »

(٢٧) ١٥٤ ب ، وفي المخصص ١٥/١٧ : « قال أبو حاتم : وانشد أبو زيد في أحجية وزاد : وأراد الأسنان ، لأن أدانيها الثنية والرباعية مؤنثتان ، وباقي الأسنان مذكر مثل الناجذ والضرس والناب .

وأنشد : يرتـَجُّ ألياهُ ارتجاجَ الوَطْبِ » (٢٨) .

١٣ . « وسمعتُ أبا زيد يقول : سمعت من العرب من يقول : (للسلم فاجنُح له) مضموم النون ، وذكّر ، فقال : له ، ولم يقل : لها . » (٢٩) .

١٤ . « وامّا النُّور من الأنوار فواحد مذكّر ،وسمعت أبا زيد يقول : تـَصغير النور جماعة النار : نويرات ، وأُنـَير ، مهموز وغير مهموز ، لانّك تقول : ثلاث أنؤر فتهمز ولا تهمز . » (٣٠) .

١٥ . « وهو مثل العـَناق مؤنثة ، وثلاث اعنق ، والعنوق ،وانشدنا أبو زيد: أنشد من أمّ عَنوقٍ حِمْحِمِ » (٣١) .

١٦ . « وبـّما قالوا للجميع : ضَبُع ، مضموم الاول ، أنشدنا ابو زيد عن المفضّل :

ياضُبُعاً اكلت آيارَ أحمرةٍ ففي البطون وقد راحَتْ قراقيرُ
هل غير همزٍ ولمز للصديق ولا تنكي عدوّكم منـكم أظافيرُ

وامّا ابو زيد فأنشدنا : ضَبُعاً ، على لفظ الواحدة .... » (٣٢) .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(٢٨) وذهب ابو علي الفارسي في (التكملة ٣٤٨) الى غير هذا اذ جعلهما حرفين نادرين لا تلحقهما التاء في التثنية ، وأنشد الرجز بتأنيث الفعل : ترتج . .. وفي نوادر ابي زيد ٣٩٣ على التذكير ، وينظر هوامشه .

(٢٩) ١٥٦ ب ، وفي : ابن الانباري ٣٦١ ، ٣٦٢ عن السجستاني : « سمعت ابا زيد الانصاري يقول : ... (وان جنحوا للسلم فاجنح له) فبضم النون ، و(له) على التذكير ... قال أبو بكر : وضم النون لغة معروفة . »

(٣٠) ١٥٨ ب ، ونقل ابن الانباري ٤٠٨ عن ابي زيد : النور جمع النار ، يقال في تصغيرها : نويرات ، والأنور ، يقال في تصغيره : أنير وأنير ، وأنيور وهذه العبارة اوضح .

(٣١) ١٦٢ أ ، ١٦٣ ب ، ونقله ابن الانباري ٣٩٣ عن السجستاني ، وزاد بعده بروايته عنه : سوداء دهساء كلون العظلم .

والعناق : الأنثى من أولاد المعز ، إذا أتت عليها سنة (التاج / عنق) وجمعها على (عنوق) نادر : والغالب جمعها على (أعنق) .

(٣٢) البيتان في : ابن الانباري ٩٣ عند ابي زيد عن المفضل وفي ٩٤ : « قال السجستاني : =

١٧ . و« الصقر مذكر والانثى صقرة وأنشدنا ابو زيد :
والصقرة الأنثى تبيض الصقرا» : (٣٣) .

١٨ . « قال أبو زيد : يقال للبزاة والشواهين ، وغيرها ممّا يصيد الصقور
قال العجّاج : البازي من الصقور . » (٣٤) .

١٩ . « والقليب مذكّر ، وثلاثة اقلبة ، وهي القلب ، وقد يؤنث
القليب ، انشدنا ابو زيد .
وإن أبى(٣٥) كانَتْ لنا القليبُ . » (٣٦) .

٢٠ . « الصاع مذكر ، وثلاثة اصواع ، وهي الصّيعان ، وانشد ابو زيد :
شَرَيْتَ غَلاماً بين حِصنٍ ومالكٍ بأصواعِ تمرٍ إذ خشيْتُ المهالكا(٣٧)

٢١ . « السلاح مؤنثة ومذكرة . حدثني بذلك أبو زيد عن العرب » (٣٨) .

٢٢ . « السكين مذكر ، لا اختلاف فيه ، سألت ابا زيد والاصمعي

= أظنه ياضبعاً بضم الضاد والباء ، يريد الجمع وقد أنكر ابن الانباري روايته على الجمع ، لأن الرواية على الواحد ، وهو قد يغني عن الجمع .

(٣٣) ١٦٦ أ ، وفي المذكر والمؤنث لأحمد بن فارس ٥٩ ، وابن الانباري ٣٩٣ : « والصقر ذكر ، وأنثاه صقرة . » وأورد الرجز عن ابي زيد ، وبعده : ثم تطير وتخلي الوكرا .

(٣٤) ١٦٦ أ ، وفي اللسان (صقر ١٣٦/٦) عن ابن سيدة : « والصقر كل شيء يصيد من البزاة والشواهين . »

(٣٥) رسمت في الأصل : أبا .

(٣٦) ١٦٧ أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٣٥ : « وقال السجستاني : القليب يذكر ويؤنث ، ويقال في جمعه : أقلبة ، والكثيرة القلب ، وقال انشدني ابو زيد :

انى اذا شاربني شريب
فلي ذنوب وله ذنوب
وإنأبى كانت لهالقليب

فأنث ، وهي لغة . »

(٣٧) ١٦٧ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٥٧ : « قال السجستاني : أنشدنا ابو زيد : ... » وذكر البيت

(٣٨) ١٧١ ، وفي ابن الانباري ٣٤٩ : « حكى الكسائي والفراء وأبو عبيد ويعقوب ان السلاح يذكر ويؤنث وقال السجستاني : اخبرني بالتذكير والتأنيث ابو زيد وغيره . »

وغيرهما ممّن ادركنا ، فكلّهم يذكّره وينكر التأنيث » (٣٩) .

٢٣ . « والعوّى ، مقصور ، نجم من النجوم . وحدّثني أبو زيد أنه اسم مقصور . » (٤٠)

٢٤ . « وقسّا اسم بلد ، مقصور مؤنث ، اخبرني بذلك ابو زيد . » (٤١)

٢٥ . « الارض مؤنثة . . . وسمعت أبا زيد يقول في الجمع عن العرب : آراضٌ . » (٤٢)

٢٦ . « قال ابو زيد : هذا رِداي ، وهذه رداتي بالتاء . » (٤٣)

٢٧ . « قال ابو زيد : يقال : هو الجرّ ، وهي الجرّة . » (٤٤)

---

(٣٩) ١٦٨ أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣١٤ : « قال السجستاني : هو مذكر ، قال وسألت أبا زيد الانصاري والاصمعي ... » ، وعن اللحياني (نفسه ٣٢٥) أنه يذكر ويؤنث . وفي نوادر ابي مسحل ٢/٤٩٢ : « هذه سكين ، وهذا سكين ، والوجه التأنيث.» وقال الفراء ٩٦ : ربما انث . وفي التاج (سكن ٩/٢٣٨) : وربما الحقوا فيها التاء ، فقالوا : سكينة وفي مجالس العلماء ١٢٩ : أن المازني لايرى غير التذكير

(٤٠) ١٧٥ أ ، وفي مجالس العلماء ١٩٣ : « قال ابو حاتم : حدثني ابو زيد ..... قال : العوا ، مقصور مؤنث . » ، وفي المقصور والممدود للقالي ١٠٧ أنها اربعة انجم تشبه كافاً غير مشقوقة أو الفاً مردودة الاسفل . وفي ابن الانباري ٤٢١ : والعوا مؤنث مقصور ، اسم كوكب . وينظر : المخصص ٨/١٧ .

(٤١) ١٧٥ ب ، وقسا : قيل موضع بالعالية ، وقرية بمصر ، وقارة ببلاد تميم ينظر : معجم البلدان ٤ / ٣٤٤ ، ٣٤٥ . وفي المقصور والممدود للقالي ٤٧ أن (قسا) على (فعل) اسم جبل . وفي معجم ما استعجم ٣/١٠٧٣ ان المطرزي حكاه في باب المقصور الممدود (قسا) ، كما ذكره في المضموم الممدود . وذكر ابن الانباري أن ذا الرمة قصره وأما (قسا) بتضعيف السين ، فهو من بلاد فارس . وسيأتي .

(٤٢) ١٧٢ آ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ١٨٨ : « قال ابو زيد : سمعت العرب تقول في جمع الارض : اراض ، واروض . » وهو عن الاخفش الاكبر اراض كما في الكتاب ١٢/١٩٩ .

(٤٣) ١٧٨ ب ، وفي المخصص ١٦/١٧٨ : والازار والازارة . ما ائتزرت به وهو الرداء والرداءة .

(٤٤) ١٨٠ آ ، وفي المخصص ١٦/١٧٩ : وقالوا جر وجرة .

٢٨ . « الأشُدّ يذكر ويؤنث عن ابي زيد ، يقال : هو الأشُدُّ . » (٤٥)

٢٩ . « وحروف المعجم ، اخبرني الأصمعي وابو زيد النحويّ انّها تؤنّث ، وذلك اكثر ، وتذكّر . » (٤٦)

ثانيـــاً : الاصمعيّ :

١ . « قال لي الاصمعي : انشدني اعرابيّ من شقّ اليمامة بغير هاء :

يا جارتا بيني فإنّك طالـــقُ

فجعله بيتاً غير مصرّع ، وأراد : انّك قد طلقت . » (٤٧).

٢ . « والعنق مذكر ، وزعم الاصمعيّ انّه لا يعرف التأنيث فيه ، وذلك الكلام المشهور . » (٤٨)

٣ . « وسألت الاصمعيّ عن قول طفيل :

إذ هي أحوى من الرّبعيّ حاجبُه والعينُ بالإثمد الحاريّ مكحولُ

(٤٥) ١٨١ ب وفي المذكر والمؤنث لابن الانبار ٤٣٥ : « وقال السجستاني قال ابو زيد : الاشد يذكر ويؤنث ، من قولهم بلغ الرجل اشده . يقال هو الاشد وهي الاشد . » والاشد ، اربعون سنة على امثل الاقوال : قال تعالى : « حتى اذا بلغ اشده ، وبلغ اربعين سنة . »

(٤٦) وفي (المذكر والمؤنث) لابن الانباري ٥٠٤ : « وقال السجستاني : اخبرني ابو زيد والاصمعي ان حروف المعجم تذكر وتؤنث ، والتأنيث اكثر واعرف . » وقال الفراء ١١٠ « وكل شي من حروف أ ب ت ث يقع عليه العجم فهو مؤنث وما لم يقع عليه العجم فهو مذكر . » وقال في ١١١ « وحروف المعجم كلها إناث ولم نسمع في شيء منها تذكيراً في الكلا م ، وقد يجوز تذكيرها في الشعر .

(٧) ١١٧ أ ، ب ، وهو صدر بيت للاعشى :

يا جارتا بيني فإنت طالقة كذاك امور الناس غاد وطارقه

وقد وردت (طالق) للتأنيث ، لانها على (تطلق) ، وقال الفراء ٥٨ : « وربما أتى بعض هذا بالهاء في الشعر ، وليس ذلك يحسن في الكلام . » وفي ابن الانباري ١٤٢ : « وقال السجستاني : حدثني الاصمعي ، قال : انشدينه اعرابي من شق اليمامة بغير هاء : بيني فبإنك طالق . جعله ... » .

(٤٨) ١٤٠ ب في ابن الانباري ٢٩٢ : « وقال السجستاني : زعم الاصمعي أنه لا يعرف التأنيث في العنق . » وفي التكملة للفارسي ٣٩٢ : « والعنق يذكر ويؤنث عن ابي زيد ، وقال الاصمعي : لا اعرف فيه التأنيث . » وينظر الفقرة (٥) فيما كتبت عن ابي زيد .

فقال : اراد : حاجبُه مكحولُ ، والعينُ . » (٤٩)

٤ . « ويقال : عجيزة المرأة ، قال الاصمعيّ : ولا يقال للرجل ، الاّ على التشبيه . » (٥٠)

٥ . « وقال لي الاصمعيّ : القفا مؤنثة ، ولا يذكّرها أحد (٥١) ، فعجبت منه ، وحكى لي عن الهُذلي قوله :

« هي قفا غادرٍ شرّ »

ثم انشد مرة اخرى :

وهل جَهِلْتِ يا قُفَيّ التتفُلْه

فقلت : ألا قال : يا قفيّة (٥٢) ؟ الم تزعم انّ القفا مؤنّثة ؟

فقال : دع ذا ، كأنّه يقول : الرجز ليس بعتيق ، كأنّه من قولِ لخلف (٥٣)

(٤٩) ١٥٢ ، وفي ابن الانباري ٢٨٣ : « وقال يعقوب : قال الاصمعي : ذكر (مكحولا)، لان المعنى : حاجبه مكحول ، والعين ايضاً . » وينظر : التكملة للفارسي ٢٩٧ فقد فقد نقل عن المازني وغيره عن الاصمعي انه كان يتأوله على « اذ هي احوى ، حاجبه مكحول ، والعين بالاثمد . » وجعل الفراء ٨١ تذكير العين ضرورة ، لأن العرب « تجترىء على تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه الهاء » .

(٥٠) ١٥٣ أ ، وفي ابن الأنباري ٢٠٤ : « ويقال : هي عجيزة المرأة ، قال الاصمعي : لا يقال للرجل الا على التشبيه . » ولم يعز النقل الى ابي حاتم .

(٥١) والقفا يذكر ويؤنث عند الفراء ١٠٣ وابن الانباري ٢١٩ وقال : « والتذكير اغلب عليه » : وعند ابي البركات في البلغة ٧٢ ونقل انكار الاصمعي للتذكير . وفي التاج (قفا ٢٢٩/١٠) : وقال ابو حاتم : زعم الاصمعي ان القفا مؤنثة لا تذكر . » ومر أن أبا زيد يجيز الوجهين .

(٥٢) لأن التاء تلحق مصغر المؤنث الثلاثي ، الا في الفاظ معدودة ، وعدم لحاق التاء ، هنا ، دليل تذكيرها ، كما زعما ، وقد وهم الرجلان معا : الاصمعي وابو حاتم ، فـ (قفي) ، هنا مرخمة بحذف التاء .

(٥٣) يقصد به خلف الاحمر البصري الراوية .

او بعض المولّدين . » (٥٤) .

٦ . « والضّرس مذكر ، وربّما أنّثوه (٥٥) ، زعموا على معنى السنّ ، وانكر الاصمعيّ تأنيثه ، فأنشدْنا قولَ دُكينٍ الراجز :

فُـقِئت عين وطنّت ضرس

فقال : انّما هو (وطّن الضرس) ، فلم يفهمه الذي سمعه ، اخطأ سمعه . » (٥٦) .

٧ . « الخمر مؤنثة ، وقد يذكّرها قوم فصحاء (٥٧) ، سمعت ذلك ممّن أثق به منهم وكأنّ الخمرَ المُدامَ من الاسفنطِ ممزوجةٌ بماءٍ زُلالِ (٥٨)

وكان الاصمعيّ ينشده بحذف نون (من) في الادراج :

وكأنّ الخمرَ المدامــةَ مِــلْ اسفنط (٥٩) ممزوجةٌ بماءٍ زلالِ

على التأنيث . » (٦٠) .

---

(٥٤) ١٥٣ ب ، ١٥٤ أ ، وفي ابن الانبار ٢٩٩ : « وقال الاصمعي : لا اعرف في القفا الا التأنيث ، وقال : فعجبت من قوله ، قال : وحكي عن الهذلي في حديث : « هي قفا غادر شر » .
وهو في المقصور والممدود للقالي ٤٥ باختلاف يسير والمعنى عليه .

(٥٥) وقال الفراء ٨٩ : « والاسنان كلها إناث . . . إلا الانياب والاضراس ، فانها ذكران.»
وينظر : ابن الانباري ٢١٤ ، واليه ذهب الحامض ٢٦ .

(٥٦) ١٥٤ ، وفي ابن الانباري ٢١٤ : « وقال السجستاني : ربما انثوه على معنى السن ، قال : وانكر الاصمعي تأنيثه ، قال : فأنشدناه . .. » وفي اللسان (ضرس) ان ابن سيده يذكر الضرس ويؤنثه .

(٥٧) وذهب الفراء ٨٣ الى ان الخمر انثى ، وربما ذكروها .

(٥٨) في المذكر والمؤنث للفراء ٨٣ ، وابن الانباري ٣٣٨ : (العتيق) موضع المدام ، قال الفراء : وقد ذكرها الاعشى ، فقال (العتيق) ، ثم رجع الى التأنيث ، فقال : ممزوجة ، وقد تأولها هو وابن الانباري على أن (عتيق) بمعنى (فعيل) أي : معتقة ، لانها من الاوزان التي يستوي فيها المذكر والمؤنث .

(٥٩) في الاصل : مل الأسفنط .

(٦٠) ١٥٥ ب ، وفي ابن الانباري ٣٣٨ : « وقال السجستاني : الخمر مؤنثة ، وقد يذكرها=

٨ . « حدّثني الاصمعيّ عن يحيى بن يعمر ، قال : ضرب بعض الولاة اعرابيا في شيء استودعه ، أنفاً ، فقال : والله ما هذا الاّ أُثيّابٌ في أسيفاط . » (٦١)

٩ . « وانشدنا الاصمعيّ لبعض الخوارج ، وقال : ليس لاميّة بن ابي ابي الصلت :

مَنْ لا يَمُتْ عبطةً يَمُتْ هرماً ألموت كأسٌ فالمرءُ ذائقُهـــا

قال : لا يقال : للموت كأس ، انما هو الموت كأس ،وقطع الف الوصل ، لانها في مبتدأ النصف الثاني ، فاحتمل . » (٦٢)

١٠ . «قال الاصمعيّ : قال بعض الأعراب : موسى خذَمَة ، في جَزورٍ سنَمَـــة ، في غـــداة شبِمة ، الخذمة : القاطعة ، والسنِمة : العظيمة السنام ، والشبمة : الباردة . » (٦٣)

= بعض الفصحاء ، قال : سمعت ذلك ممن أثق به منهم ، قال : وكان الأصمعي ينكر التذكير ، فأنشدته قول الاعشى ... وكان الاصمعي يحذف نون (من) في الادراج ، وتلك لغة مشهورة معروفة .

(٦١) ١٥٩ أ ، ينسب القول إلى عيسى بن عمر الثقفي ، وقد كان صاحب تقعير في كلامه : والوالي هو يوسف بن عمر . ويعني: بألف ألف سوط . ينظر معجم الادباء ١٤٨/١٦ .

(٦٢) ب ، وفي ابن الانباري ٤١٣ : « قال السجستاني : لايقال : للموت كأس انما هو : الموت كأس : قال : وقطع الف الوصل لانها في مبتدأ النصف الثاني وهذا محتمل . انشدناه الأصمعي لبعض الخوارج ، وقال : ليس لامية بن أبي الصلت . » وقد وهم ابن الانباري في النقل مرتين : الاولى في نسبة المقالة الى السجستاني وهي للاصمعي برواية السجستاني، والثانية : انه روى (للكأس) بفتح اللام على الابتداء ، وهي عند السجستاني بكسرها على الجر على معنى الاضافة . وينظر اختلاف الاقوال والتخريج في هامش ابن الانباري ص ٤١٣ .

(٦٣) ١٦٠ب ، والقول شاهد على تأنيث الموسى، وفيه تفصيل . ينظر: ابن الانباري ٣٢٧ – ٣٢٩ ، والمخصص ١٧/١٧ ، ١٨ فقد ذكر فيه التأنيث والتذكير ، ونقلا عن الاموي انفراده بايراد التذكير حسب ، وهي عند الفراء ٨٦ انثى ، وينظر اللسان (موسى) .

١١ . « السكين مذكر ، لا اختلاف فيه، سألت أبا زيد والاصمعيّ وغيرهما ممّن أدركنا فكلّهم يذكّره وينكر التأنيث، وأنشد الاصمعيّ للهذليّ :

يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا   فذلك سكّينٌ على الحلقِ حاذقُ »(٦٤)

١٢ . « وأمّا قولُ رؤبة بن العجّاج :

أجْزِ بها (٦٥) أطيبَ من ريح المِسِكْ .

فإنّه احتاج فحرّك السين ... وامّا الاصمعيّ ، فقال : المِسَك ، ففتح السين وجعلها جمعاً مؤنثاً كقولك : سِدرة وسِدَر ، وخِرْقة وخِرَق . » (٦٦)

١٣ . « وقال الاصمعيّ : قال فلان : كان كُثيّر عزّة كربجاً ، يعني انّه كان له حانوت يبيع فيه الخَبَط (٦٧) ، والعلف ، فظنّ انّه هو الكربج . » (٦٨)

١٤ . « وانشدنا الاصمعيّ لابن احمر :

---

(٦٤) ١٦٨ ب ، وينظر فقرة (٢١) عن ابي زيد ، وهامشه ، وفي ابن الانباري ٣١٤ « قال : وأنشدني الاصمعي للهذلي : ... »

(٦٥) في الاصل : احرها ، تحريف .

(٦٦) ١٦٩ أ ، وفي ابن الانباري ٣٨٥ نقلا عن السجستاني : «وقال في قول رؤبة بن العجاج :
أجز بها اطيب من ريح المسك .
كسر السين اضطرارا . . . قال : وكان الاصمعي ينشد بفتح السين : المسك ويقول : هي جمع مسكة ، كقولك : خرقة وخرق ، وقربة ، وقرب .
وقول الجوهري والصاغاني : انما حركها بالفتح اضطرارا. (التاج / مسك) ٧/١٧٧.

(٦٧) الورق الساقط ، تعلف به الابل . (: اللسان / خبط)

(٦٨) ١٦٩ ب ، وفي ابن الانباري ٣٣١ : « وقال الاصمعي : قال فلان الاعرابي : كان كثير عزة كربجاً ، وزعم انه كان يبيع الخبط والنوى والعلف في طريق مكة في حانوت» والكربج هو البقال ، اوالحانوت ، ذكر ذلك السجستاني ، وفي الالفاظ الفارسية المعربة لادي شير ١٢٤ : القربج : الحانوت معرب كربة .

ثمل رمته المنجنون بسهمهـــــا ورمى بسهم حريمة لم يصطد (٦٩)

وانشدنا الأصمعي : ومنجنين كالاتان الفارق . » (٧٠)

١٥ . «وثبير اسم جبل، مذكر، قال الاصمعيّ : هي اربعة اثبرة : ثبير عيناء وثبير كدا ، فأربعة تدل على تذكير الواحد . » (٧١) .

١٦ . « وانشدني الاصمعيّ :

من اهل فسا ودَرا بِجَرد

وهما من بلاد فارس، وقال الاصمعيّ: الدرا وردى منسوب الى درا بِجَرد وانّ اصله منها . » (٧٢)

١٧ . « وقال ابو عبيدة (٧٣) هذا ازاري، وهذه ازارتي، بالتاء (٧٤) . وانشدنا :

(٦٩) ١٧٢ أ ، والبيت في ابن الانباري ٤١٧ والمخصص ١٧/١٧ عن الاصمعي

(٧٠) ١٧٢ أ ، ومناطه ان (المنجنين والمنجنون) نعتان ، وهي الدولاب ، قال به الفراء وابوحاتم ورواه ابن الانباري ٤١٨ والصاغاني في : ماتفرد به بعض ائمة اللغة ٢٢ عن الفراء .

(٧١) ١٧٤ ب ، وفي ابن الانباري ٤٨٠ : «وقال ابو حاتم : سمعت الاصمعي يقول ، هي : اربعة اثبرة : ثبير عيناء ، وثبير الاعرج ، وثبير الاحدب ، وثبير كداء . فقوله اربعة ، يدل على التذكير . »

(٧٢) ١٧٥ب ، في الاصـل : فساودزا بجرد ودزاوردى ، بالزاى ، تصحيف وفسا أنزه مدينة بفارس ، ودرا بجرد كورة منها فسا ، وإن كانت هذه اكبر من تلك (ينظر : معجم البلدان ٤٤٦/٢ ، ٢٦٠/٤ ، ٢٦١ ، مراصد الاطلاع ٥١٩/٢) وفي المعجم ٤٤٦/٢ : «قال الزجاجي : النسبة اليها على غير قياس . يقال دراوردى) والشاهد في المخصص ١٨٥/١٥ .

(٧٣) احد موضعين نقل فيها ابو حاتم عن ابي عبيدة .

(٧٤) ١٧٨ ب وفي ابن الانباري ٣٦٣ : «وقال ابو عبيدة : هذا إزاري وهذه ازاري ، وانشد . . . » ، ولا يستقم هذا مع انشاد البيت ، لانه كان ينبغي ان يقول : وهذه ازارتي ، ولعله وهم وقع للناسخ .

كتمّيـــل النـــشوان يـــر فل في البقيرةِ والإزارة (٧٥)

والاصمعيّ يردّ هذا الشعر. قال : القصيدة مصنوعة، ولا يعرف الازار الا مذكّراً . » (٧٦) .

١٨ . وحروف المعجم، اخبرني الاصمعيّ وابو زيد النحويّ انّها تؤنث، وذلك اكثر وتذكّر ، قال الراعي : قال الاصمعيّ : وهو من افصح الناس :

أشاقتك آياتٌ أبان قديمُهـــــا كما بيّنَتْ كافٌ تلـوحُ وميمُها

فأنّث . » (٧٧)

ثالثـــــا : الاخفش

١ . « وامّا الصفات فلا تصغّر بالهاء ، نحو : امرأة عَدْل ورضاً وخَلَق ، فإنّها ممّا زعم الاخفش صفات مذكّرة ، وصف بها المؤنث كما يوصف المذكر بالمؤنث في قولك : رجل ربعة وراوية ونسّابة » (٧٨) .

٢ . « قال الاخفش : الانعام تؤنث وتذكّر . » (٧٩)

---

(٧٥) وقال ابن الانباري ٣٦٤ : « وانشدناه عبد الله ، قال انشدناه يعقوب : في البقير وفي الازارة .

(٧٦) وفي ابن الانباري ٣٦٤ : « وقال السجستاني : رد الاصمعي هذا الشعر وقال : هو مصنوع ، وقال : لايعرف الازار الا مذكرا . » وفي المخصص ٢٢/١٧ :
«وقد قالوا : ازارة ، واباها الاصمعي ، واحتج عليه ببيت الاعشى :
كتمايل النشـــوان يـــر فل في البقير وفي الإزاره
فقال : هو مصنوع .

(٧٧) ١٨١ ب ، وينظر : الفقرة ٢٨ من ابي زيد ، وفي ابن الانباري ٤٥٠ : وانشدنا الاصمعي للراعي ، وقال : الراعي افصح الناس : أشاقتك آيات ... » ، وينظر ابن السيرافي ٢٧٥/٢ .

(٧٨) ١٥٧ أ ، وذهب الفراء الى انه من باب تصغير المصدر ، لأن الاصل فيه الا يصغر ، قال : « تصغر الخلق وان كان نعتاً لمؤنث بغير هاء ، وكذلك الجديد ، وما كان من نعت ليس فيه الهاء ، مثل قولك : عربية محض ، ومضرية قلب ، فينبغي ألا تصغر المصدر ، فان فعلت تركته على حاله بغير الهاء ، فقلت : انها لعربية محيض من العرب . » ابن الانباري ٧٠٧ .

(٧٩) ١٧٩ ب ، وفي ابن الانباري ٢٤٦ : « قال السجستاني : قال يونس والاخفش : والانعام تذكر وتؤنث ، فيقال : هو الانعام ، وهي الانعام وينظر ٣٤٧ ، =

رابعـــا : ابو عبيدة

١ . « سمعت ابا عبيدة يقول (وريت بك زنادي) ، وهذا مثل يتكلّم به هكذا . » (٨٠)

٢ . ينظر الفقرة ١٧ من الاصمعيّ .

يتبين لنا في ضوء ما عرضنا ممّا اخذ ابو حاتم :

١ . انّ ما أخذه مما يتصل بالالفاظ المذكرة والمؤنثة عن ابي زيد هو ثمانية عشر موضعاً ، رثلاثة مواضع لغوية ، وثلاثة في الدلالات ، واثنان في الجموع ، وواحد في اللغات وآخر في التصغير ، استشهد عليها بأحد عشر شاهدا من الشعر ، وشاهد قرآنيّ واحد .

وما اخذه عن الاصمعي سبعة في الفاظ التذكير والتأنيث ، واربعة في اللغة ومسألة في النحو ، واستشهد بأربعة عشر شاهدا من الشعر ، وردّ واحدا ، كما استشهد بأربعة اقوال .

٢ . يبدو لنا ابو زيد اكثر تساهلا في قبول اللغات ، واختلاف التذكير والتأنيث ، والروايات ، وكان الاصمعيّ متزمتّا قاسيا في القبول او الرفض والانكار ، فطعن على روايات ، واتّهم شعرا بالوضع على الظن بلا تمحيص او تحقيق ، وتتردد عنده اقوال من نحو : « انّه لا يعرف التأنيث » ، « ولا يذكره احد » ، و « فلم يفهمه الذي سمعه ، اخطأ سمعه» و « القصيدة مصنوعة» .

= وفي ٣٤٨ : « وانكر السجستاني على ابي الحسن الاخفش وعلى يونس قولهما : الانعام تذكر وتؤنث وقال : تذكير الانعام لا يعرف في الكلام ، ولكن ان ذهب الى النعم فجائز . »

(٨٠) ١٧٦ أ ، وفي ابن الانباري ٣٩٠ : « وقال السجستاني : سمعت ابا عبيدة يقول في مثل : وريت بك زنادي ، وذلك اذا علم الرجل وعلم شيء كان يجهله فأخبره به انسان فيقول له : وريت بك زنادي ، اي : وضح لي الامر من قبله . »

وغير ذلك . وانكر شعرا استشهد به هو وهما على تأنيث العنق ، ثم ازورّ عنه بعد ان اتّضح له انّه شاهد على التذكير ، والتذكير عنده مدافع منكر .

ومن ذلك انّ ابا زيد ذهب الى تأنيث (العنــق) وتذكيره ، على حين انّ الاصمعي يزعم انّه لا يعرف التأنيث فيه .

يؤيد ذلك انّ ابا حاتم نفسه قال ، وهو يتحدث عن ابي زيد والاصمعيّ ، وتفاوت مذهبيهما في الرواية : « وسمعت ابا زيد يقول : اهل نجد يقولون : أكننت اللؤلؤة والجارية فهي مُكَنَّة ، وكننت الحديث وكلٌّ صواب ، وكان يتّسع في اللغات حتى ربّما جاء بالشيء الضعيف فيجري ذلك مجرى القويّ ، وكان الاصمعي مولعا بالجيد المشهور ، ويضيّق فيما سواه . »(٨١) ، وانّه « كان مولعاً بأجود اللغات ، ويرد ما ليس بالقويّ . » (٨٢)

واغلب الظّن انّ ابا حاتم يعني بمصطلح (الضعيف) ما يعنيه النحويون بالقليل ، ويعني بالقويّ ما يعنونه بالكثير ، وهو عنده غير منكر ولا مدافع ، دليله ما ذكره بعد من ايلاع الاصمعيّ بالجيد الذي هو المشهور ، الكثير وهكذا يبدو فرق ما بين الرجلين : الاصمعيّ وابي زيد في التضييق ، وهو لون من يُبْس الاصمعيّ ، والاتّساع في الرواية وقبول اللغات ، وهو لون من مرونة ابي زيد وتسمّحه .

٣ . وانّ ابا حاتم متأثر — غالباً — بأبي زيد اكثر من تأثّره بالاصمعيّ ، فهو اذن ميّال — في الأكثر — الى احترام المسموع لا يطّرح منه إلاّ يسيراً ، فلا يضيّق في قيود الفصاحة ، وبذلك كان أقرب من الأصمعيّ الى فهم اللغة وطبيعتها وظواهرها .

٤ . وأنّ كتاب ابي حاتم كان كتاباً موثوقة أخباره ورواياته ، يعزوها

(٨١) فعلت وافعلت لابي حاتم ٨٨ .

(٨٢) مجالس العلماء ، المجلس ٩٥ ص ١٩٦ .

الى أصحابها كما كان كتاباً علمياً يجنح الى التفصيل والاحاطة ، فلم يكن إذن كتاباً تعليمياً يسير المأخذ او مقصوداً به المتعلمون المبتدئون .

٥ . وأنّه أفادنا في أنْ ليس ثمّة قاعدة مطّردة ، ولا سياقاً واحداً في التذكير والتأنيث ، فما نجده مذكراً عند قوم يكون مؤنثاً عند آخرين ، وما جاز فيه وجها التذكير والتأنيث عند لغوي بناء على السعة والمرونة ، أنكر لغويّ آخر أحدهما وارتضى الثاني ، فيما وجدناه في هوامش البحث ، وفي هذا كلّه دليل على انّ اللغة تجري على رسلها وفق منطقها هي لا منطق اللغويين .

منهج الكتاب: (٨٣) .

١ ـ التعليـــــل .

ابو حاتم السجستاني بصريّ المذهب ، لما نعلمه من شدّة عصبيّته لهم على الكوفيين ، وهو في هذا الباب ينحو منحاتهم ، ويعلل لمسائل اللغة كما يعلّـون ، لا ينفك عن ذلك البتة ، وحين يجبهه سرّ من اسرار اللغة فيه اغماض ، او او هو محتاج الى فسر فزع الى العقل يستعين به في ازالة هذا الاغماض وتفسيره ، ومن هنا ، غالى في التعاليل ، يصيب حيناً ، ويعثر احيانا ، لما نعرفه عن التعارض كثيراً بين المنطق العقلي الذي سلك سبيله اللغويون وبين المنطق اللغويّ ، وهو منطق خاص ، لا يخضع الاّ لمساماً للمنطق العقلي او الفلسفي . ومن اسس تعايلاته :

أ ـ الخفـــة والثقـــل

يعتدّ ابو حاتم كثيراً بمسألة الخفة والثقل ، وربط ذلك . فيما يلوح لي ـ بالاستعمال ، فما كان سائراً شائعاً خفّ ، وما كان قليل السيرورة والشيوع

(٨٣) لم أشأ ان أشير الى موضوعات الكتاب ، فقد اوضحت ذلك في الدراسة التي عقدتها لكتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري والموازنة بينه وبين الكتب النظائر . ينظر ص ٤٧ ـ ٥٤ .

ثقل ، وتعاور الحركات على حرف مّا دليل ثقل ، وقلّتها دليل خفّة ، ومن هنـا كان الممنوع من الصرف أخفّ من المنصرف ، ولانّ المـذكر أخفّ من المؤنث انصرف الاول في الأعلام ، ولم ينصرف الثاني ، ليكون ثم لون من التوازن بين خفيف وثقيل ، وثقيل وخفيف ، قال : (واعلم أن المذكر أخفّ من المؤنث ، لانّ التذكير قبل التأنيث ، ولذلك صرف اكثر المذكر العربي ، وترك صرف المؤنث العربي) (٨٤) وذهب الى أن المؤنث النكرة منصرف فاذا سمّيت به المذكر علما لم ينصرف ، لأن النكرة اخف من المعرفة . (٨٥)

ومن ذلك ذهابه الى أن (العدل نظير الثقل ، فلم يصرف المعدول .) (٨٦)

وعلّل عدم لحاق تاء التأنيث للنعوت التي لا حظّ للذكر فيه ، نحو : حائض ، وطامث ، وطالق ، بأنّ التاء قد حذفت (٨٧) ، كما حذفت في جمع الأناث (٨٨) ، لان المؤنث ثقيل ، فيكون ذلك أخف له .

ومنه أن حذف التاء في (أخ) و (أب) قد جاء استخفافا ، اذ حقّ المؤنث ان يكون (أخة) أو (أخاة) على وزن (قطاة) (٨٩)

ب ــ الكثـــرة والقلّـــة

ويربط ابو حاتم ربطاً محكماً بين الخفة والكثرة ، الثقل والقلّة ، ويجعل ذلك ذا وشيجة قوية بمسألة الحذف ، فقد زعم انّ الحـذف الذي يلحق المفرد ، كما في الأخ والأب ، انما يلحق طلباً للخفة ، ذلك لأن الواحد

(٨٤) (٢) المذكر والمؤنث ٩٨ ب .
(٨٥) ينظر : المذكر والمؤنث ١٠١ أ .
(٨٦) المذكر والمؤنث ١١٠ ب .
(٨٧) نفسه ١١٦ ب .
(٨٨) نفسه ١٠٩ ب .
(٨٩) نفسه ١٨٨ ب ، وزعم ان (بنت) بناء على غير بناء (ابن) .

الفرد أكثر في الكلام من المثنى والجمع « فهو أحوج الى الخفة ، والتثنية والجمع أقل في الكلام فكان الاقل احمل للثقل والأكثر أحوج الى الخفة » (٩٠) .

وزعم ابو حاتم أنّ علة صرف العلم المؤنث الثلاثي اذا سمّي به المذكر هي قلّة حروفه ، فاذا كثرت حروفه لم ينصرف . أمّا المؤنث المختوم المقصورة فهو لا ينصرف مؤنثاً كان او مذكرا استثقالا . (٩١)

ومن ذلك ذهابه الى أنّ علّة عدم احتياج نعت المؤنث الذي لا مذكر له الى التاء (٩٢) « ليكون اللفظ اقلّ وأخف » (٩٣) وذلك في نحو : حائض وطامث وقاعد ، وهذا ـ فيما يبدو لي ـ وهم وقع لأبي حاتم ، اذ لا ضرورة لهذه التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث . اذ لم يكن ثمة ضرورة للتفريق لاقتصار هذا النعت على الاناث دون الذكور ، وذلك بمألوف متداول ، ودليله أنّ أبا حاتم نفسه ذكر في موضع آخر أنّ نعت المذكر الذي لا نظير له في الاناث غير محتاج الى التاء أيضاً (٩٤) . كما تحذف في كثير من النعوت مما كان على زنة (فعول) بمعنى (فاعل) ، و (فعيل) بمعنى (مفعول) من

---

(٩٠) نفسه ١٨٨ ب ، ١٨٩ أ .

(٩١) نفسه ١٠٢ ب .

(٩٢) ويسميها أبو حاتم الهاء .

(٩٣) المذكر والمؤنث ١١٦ ، ومن ذلك أيضا قوله في علة عدم لحاق التاء لبنات الاربعة عند التصغير لكثرة الحروف ، ولحاقها بنات الثلاثة حرصاً على بيان التأنيث ، فهذا يعني أن الميل الى قلة الحروف عنده اولى من ايضاح التأنيث فيها . (١٣٦ أ ، ١٥٠ أ).
غير ان ابا حاتم لم يتنبه الى انه ذكر ان تصغير (حرب) و(قوس) ، وهما مؤنثان ثلاثيان يكون بلا تاء ، فيقولون (حريب) و(قويس) . (١٥٧ أ) ثم علل لها بقوله (ولا يقال : الذود الا من النوق ، والتصغير (ذويد) ، لانها أشبهت المصادر ، كما اشبهتها حرب وقوس) (١٦١ ب) .

(٩٤) المذكر والمؤنث ١٢١ ب ، ١٧٦ ب ، قال : (ومن صفات الحمى الصالب والنافض بغير هاء ، لان هذا المعنى لا يكون في شيء ذكر مثل الحمى) .

نحو : شكور وجسور ، سليب وصريع ، وذكر أيضاً انّ نعوتاً هي من من حظّ المؤنث لحقتها التاء ، وحذفها قليل (٩٥) ، نحو : حلوبة ، وركوبة ، قال : (وربما طرحوا أيضاً فقالوا : شاة رغوث وحلوب) واستشهد بقول كعب الغنويّ :

يبيتُ الندى يا أمّ عمرٍو ضجيعَه إذا لم يكن في المُنقيات ِ حَلوبُ

وبقوله تعالى : (... فمنها ركوبهم ومنها يأكلون .) وقد وردت في مصحف ابن مسعود وأبي (فمنها ركوبتهم) بالتاء ، (٩٦)

وقد علّل ابو حاتم لذلك تعليلاً غريباً إذ جعل نعت المؤنث بالمذكر ونعت المذكر بالمؤنث لوناً من تبادل النعوت قصد فيه العرب الى الموازنة . ولا أرى ثمة ضرورة للافتراض والتحكم القسري بالمنطق اللغويّ .

وعلّل أيضاً لاتفاق نزع الهاء في النعوت التي هي على وزن (فعول) و (فعيل) بتقاربهما . (٩٧)

ويؤيد ذلك ان ابا حاتم قد ذكر أن الاستغناء عن التاء يأتي حين يكون للمؤنث لفظ خاص ، وللمذكر لفظ آخر ، نحو : حمار وأتان ، فاذا كان ثمّة شركة بينهما لزم لحاق التاء للمؤنث ، مثلما قالوا : حمارة (٩٨) وممّا يرد به عليه أيضاً ما رواه من قولهم : (اذا اتاكم كريمة قوم فأكرموه ، وكذلك كريم قوم .) (٩٩)

(٩٥) نفسه ١٢٤ ب .
(٩٦) نفسه ١٢٣ أ .
(٩٧) نفسه ١٢٤ ب .
(٩٨) المذكر والمؤنث ١٣٠ ب . كما قالوا (ضبع) للانثى ، ولم يلحقوا التاء ، لان المذكر (ضبعان) ولو لم يكن الضبع مؤنثا لقالوا (ضبعانة) تفريقا ، ولم يستغنوا عن التاء .. (١٣١ب) ومثله (العقرب الارنب) ، (القسي ، الليل) ١٧٢ .
(٩٩) نفسه ١٢٩ ب .

ومسألة الخفة والثقل التي وقفنا عندها كانت سائرة في تعليل ما يطرأ على اللغة من تبدلات ، وارتضاها الدارسون حتى العصر الحديث ، غير أن هذه المسألة ليست مطردة لما نجده في اللغة من الظاهرة وعكسها (١٠٠) وفي ظاهرة الممنوع من الصرف امور واضحة في هذا الباب .

٢ – القيـــاس والسماع

ابو حاتم راوية من الرواة (١٠١) ، وهـو بصري في الاتجاه العـام متعصب شديد العصبية ، وهو من ثمة يلتزم بالمنهج البصريّ في اعتداده بالقياس ، ولكنه يفزع الى المسموع ، فاذا لم يجد فيه ما يعضد قوله جرّد القياس (١٠٢) ومضى عليه من ذلك :

أ – قال فيما يسميه الصرفيون بتصغير الترخيم ، نحو تصغير ما كان على وزن (أفعل) من الصفات ، مثل : أسود ، على(سويد) بحذف (الالف) .

ب – اذا كان النعت ممّا يختصّ به المؤنث لم يسغ لحاق التاء به ، وكذا النعوت التي يشترك فيها المذكر والمؤنث ممّا كان على (فعيل ، وفَعول ، ومِفْعال ، ومفعيل) واوزان اخرى وما سوى ذلك دخلت فيه التاء فرقاً بين المذكر والمؤنث ، وهو القياس ، وقد سُمع : رجل عاقر وامرأة عاقر ، وجمل بازل وضامر ، وناقة بازل وضامر ، لم تلحقها التاء في التأنيث ، لانها ليست من هاتيك . قال ابو حاتم : (وكان القياس الفصل) (١٠٤) بعلامة التأنيث .

(١٠٠) ينظر : اللغة العربية عبر القرون ٣٧ .
(١٠١) وقد كتب السيد سعيد الزبيدي رسالته للماجستير وعنوانها : أبو حاتم السجستاني الراوية.
(١٠٢) خطبة المذكر والمؤنث ٩٦ ب .
(١٠٣) المذكر والمؤنث ١٧١ .
(١٠٤) المذكر والمؤنث ١٩١ أ .

ج ــ ويفهم من كلامه أنّ الخطاب بالفعل (هاء) يكون بلفظة للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع ويقال قياسا على ما في القرآن : (هاؤُمُ اقرأوا كتابيهَ) للجميع ، وتقول للواحد الذكر : هاءَ ، فتفتح الهمزة التي في (هاء) ، وللاثنين : هاؤما بضمّ الهمزة ، وتدخل الميم ، كما تقول : عليك وعليكما ....) (١٠٥)

ومن دلائل ترجيحه السماع على القياس أنّ العرب لم تقل (فرسة) في تأنيث الفرس ، وهو القياس ، قال : (إلاّ أنّ كلام العرب لا يخالف إلاّ ما حكي عن يونس : فرسة وعجوزة) (١٠٦) ، ولانه لم يكن مطمئنا الى هذه الحكاية كلّ الاطمئنان ، زعم أن التاء هنا ليست للتأنيث ، وانما هي لتوكيد التأنيث (١٠٧) ، اذ التأنيث موجود في الاصل لمخالفة لفظ المؤنث لفظ المذكر ..

٢ ــ الاستطراد

لم يكن كــتاب ابي حاتم وقفــا على ظاهرة التــذكير والتأنيث ، بل كان يستطرد الى كلّ ما يتصل بالظاهرة من اللغات (١٠٨) ، ومسائل النحو (١٠٩) والتصريف (١١٠) والدلالات (١١١) ، ولحن العامّة (١١٢) ، ووجوه القراءات (١١٣) وسواها بتفصيل وافٍ ،

(١٠٥) نفسه ٩٩ أ .
(١٠٦) ، (١٠٧) نفسه ١٣١ أ .
(١٠٨) ينظر مثلا : ١١٤ أ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ أ ، ١٥٠ أ ، ١٦١ ب ، ١٦٧ ب ، ١٦٨ ب ، ١٧٧ ب ، ١٩٠ ب ، ١٩١ أ ، ١٩٣ ب .
(١٠٩) ينظر : ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٢ ب ، ١٥٢ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ب .
(١١٠) ينظر ١٠٣ أ ، ١١١ أ ، ١٤٣ أ ، ١٧٣ أ ، ١٨٧ أ .
(١١١) ينظر : ١١٦ أ ــ ١٢١ ب ، ١٦٦ أ ، ١٧٧ .
(١١٢) ينظر : ١٣٩ أ ، ١٤٩ أ ، ١٦٣ أ ، ١٩٠ أ ، ١٩٢ أ ، ١٩٧ أ .
(١١٣) ١٢٣ ، ١٤١ أ ، ١٦٠ أ ، ١٦٩ أ .
وسيكون لذلك كله بحث مستقل آت أدرس فيه نحو السجستاني ولغته .

مع غزارة الاستشهاد .

٣ – رعايته للقراءات

لأبي حاتم كتاب في القراءات كان يفخر به أهل البصرة ، لأنّه كان أجلّ كتاب صنّف فيها الى زمانه ، وكان من مصادر ابن جني في كتابه (المحتسب) (١١٤) ومن ثمّة كان ابو حاتم يعتاّ بالقراءات سبعية كانت ام شاذّة ، لا ينكر منها شيئا ، وهي – عنده – مناط للاستشهاد والتأييد .

من ذلك :

أ – ما كان على زنة (فَعول) بمعنى (مفعول) من الصفات تلحقه التاء فرقا بين المذكر والمؤنث ، وقد تحذف ، وفي القرآن الكريم (فمنها رَكوبُهم ، ومنا يأكلون .) (١١٥) : (وفي مصحف ابن مسعود وأبيّ : فمنها رَكوبتُهم .) (١١٦)

ب – ونقل قراءة الحسن في تذكير اللسان : (اللسان الذي يلحدون اليه أعجميّ) (١١٧)

ج – وقال تعالى : (بكأس من معين بيضاءَ لذةٍ للشاربين) (١١٨) ونقل أبو حاتم قراءة عبدالله بن مسعود : (صفراء لذة) موضع (بيضاء) (١١٩) .

---

(١١٤) خطبة المحتسب ٣٥ ، ٣٦ .

(١١٥) سورة ياسين ٣٦/ آية ٧٢ .

(١١٦) المذكر والمؤنث ١٢٣ ، وهي قراءة عائشة . وقرأ الحسن والاعمش : (فمنها ركوبهم) بضم الراء ، كما في مختصر ابن خالويه ١٢٦ .

(١١٧) ١٤١ أ ، سورة النحل ١٩/ آية ١٠٣ : « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين) ، وقراءة الحسن لا على تذكير اللسان بل على تحليته بالالف واللام . ينظر : مختصر ابن خالويه ٧٤ .

(١١٨) الصافات ٣٧/ آية ٤٥ .

(١١٩) ١٦٠ أ ، وهي قراءة ابن مسعود والحسن والضحاك ، كما في المختصر ١٢٨ .

د ـ وفي القرآن الكريم : (أولياؤهم الطاغوتُ يُخرجونهم)(١٢٠) على أنّ (الطـاغوت) جمـع ، ونقل أبو حاتم قـراءة الحسن البصريّ : (اولياؤهم الطواغيت) على إفراد الطاغوت (١٢١) ، كما نقل قراءة (أُبَيّ) : (يخرجنهم) ، على الجمع المؤنث . (١٢٢) وكلٌّ عند أبي حاتم صحيح صواب .

شواهده :

ناهزت شواهده القرآنية سبعاً وسبعين آية ، وشـواهده من الحديث والاثر اثني عشر شـاهدا ، ومن الشعر ثلاثة وسبعين ومئة ، أنكر واحداً منها ، ومن الأرجاز تسعة وخمسين استشهد باحدها مرتين ، وكانت شواهده الاخرى اربعة وعشرين قولاً ومثلاً وأُحجية ودعاء .

وحين عرضت لشواهده من الشعر والرجز ، وجدت أنّه نسب منها جميعاً خمسة وعشرين ومئة ، ولم ينسب ستة شواهد ومئة ، وقد بان لي وانا انظر في شواهده المنسوبة ما يأتي :

١ ـ انّه نسب خمساً وأربعين شاهداً لشعراء جاهليين هم ، على على التوالي ، حسب عدد مرات ورود اسمائهم .

الاعشى (٩) ، زهير (٧) ، اوس بن حجر (٥) ، النابغة الذبياني وطفيلَ الخيل الغنويّ (٤) الشّماخ (٣) ، امرؤ القيس وعلقمة بن عبده (٢) ، وطرفة بن العبد ، والعباس بن مرداس ، ولبيد وحميد ابن ثور ، واعشى باهلة وابو الاخذم التميمي والايادي (لعلّه لقيط) وأميّة بن ابي الصلت وسلامة بن جندل (١) .

---

(١٢٠) البقرة ٢/ آية ٢٥٦ .

(١٢١) ينظر : المختصر ١٦ والبحر المحيط ٢٨٣/٢ ، وينظر في معنى الطاغوت : تفسير الطبري ٤١٧/٥ – ٤١٩ ، ومجمع البيان ٣٦٤/٢ .

(١٢٢) ١٦٩ أ ، ليست من الشواذ .

٢ ــ ونسب سبعــة شواهــد الى شعراء مخضرمين : جاهليــين اسلاميين ، هم : الحطيئة (٣) ، النابغــة الجعدي ، وحسان بن ثابت وكعب بن زهير (١) .

٣ ــ ونسب سائر الشواهــد ، وعددها ثمانية وستون شاهداً الى الى شعراء اســلاميين وأمويين ، هم العجّاج (١٢) الراعي وابو النجم العجلي (٦) ، ذو الرمة ورؤبة (٥) الفرزدق وجرير والاخطل (٤) ، الهذلي (؟) وابن مقبل (٣) ، وأبو الاخزر الحِمّاني وساعدة بن جؤية (٢) ، ابن همّام السلولي ، وبشر بن ابي حازم وكعب الغنويّ وعبــدالرحمن بن حسّان والقطامي ودكين وابــو كبير الهــذلي ، والحــارثي ، وابن ام صاحب ومعقّر وابن احمر الباهــلي وعوف بن الاحوص الكلابي (١) .

وثمة شاهدان نسب اولهما للخثعمي وثانيهما لأعرابية .

٤ ــ وانكر ابو حاتم شــاهدا لعمارة بن عقيل ، وهو عباســي ، متابعة للاصمعي ، وان كان عمارة من علماء اللغة والنحو .

٥ ــ مضى ابو حاتم على ما مضى عليــه اللغويون من اقتصارهم في الاحتجاج على شــعر شعراء الاعصر الاولى : الجاهلي فصدر الاســلام فالاموي ، وانكار ما سواه ، مثل انكاره بيت عمارة .

٦ ــ وأن نسبة الرجز المستشهد به عاليــة علوّا ينبىء بأنّ اللغويين يميلون الى شــعر البداوة ، وهو واحد من مقاييسهم في اصالة الشعــر وفصاحته .

٧ ــ ويبــدو ان الشعر الذي لم يُعنَ ابو حاتم بعزوه ، هو ممّا شاع ، وجرى به الاستشهاد عند العلماء ، وبذلك وقــع موقع المعزوّ من حيث روايته عن الثقات الاثبات .

اثر الكتاب فيما تلاه : ـ

اشـــرت فيما مضى الى انّ لكتاب ابي حاتم أثراً واضحاً في كتاب « المذكر والمؤنث » لابي بكر بن الانبـــاري (١٢٣) ، وكتاب « المخصص » لابن سيده .

(أ) كتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري :

افاد ابن الانبـــاري من كتاب ابي حاتم افادة مباشـــرة صريحة في واحد وســـبعين موضعاً ، ناقش ابا حاتم في ثمانية منها ناقضـــا ما ذهب اليه وناقلا في ثلاثة وستين موضعاً من غير اعتراض او ردّ .

وسأذكر ثمة المواضـــع الاولى ، لبيان وجـــه المناقشة ، ومشيرا الى ما سواها متتبعا مواضعها من الكتابين (١٢٤) .

١ . قال ابن الانباريّ : « وقال السجستاني : العرب لا تقول : عجوزة بالهاء ، وهذا خطأ منه ، لأن ابا العباس احمد بن يحيى اخبرنا عن سلمـــة عن الفرّاء ، قال : قال يونس : سمعت العرب تقول : فرسة وعجوزة ... » (١٢٥)

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١٢٣) ينظر : المذكر والمؤنث ٤١ .

(١٢٤) ينظر الصفحات الآتية من كتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري ، وهوامشها :
١٤٣ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ،
٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ،
٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،
٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٤-٣٤٥ ،
٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ،
٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،
٣٦٤ .

(١٢٥) المذكر والمؤنث ٨٩ ، ١٠٨ ، وقول الفراء في المذكر والمؤنث له ٨٨ .

وقد وقع لابن الانباريّ من الوهم مالا يجوز أن يقع منه ، وقد فاته أنّ أبا حاتم قد نقل عن يونس ما نقله هو عن الفراء عن يونس ، ذلك أن ابا حاتم كان يرى أنّ القياس هو لحاق التاء الفارقة للمؤنث .

ولم يسمع مثل ذلك عن العرب ، إلاّ انّ ما حكاه عن يونس عضد به قياسه ويبدو ان ابن الانباري قد اجتزأ بأوّل الكلام عن آخره ، قال أبو حاتم :

« وفرس ذكر ، وحجر للانثى ، وفرس انثى ، ولم يقولوا فرسة ، وكان القياس أن يقال ، إلاّ انّ كلام العرب لا يخالف ، إلاّ ما حكي عن يونس: فرسة وعجوزة، والهاء فيهما تأكيد للتأنيث» (١٢٦) .

وهذا يعني انّ ابا حاتم قد اعتدّ بالسماع الكثير ، فلم تكن التاء فارقة للتأنيث وهو لم ينكر حكاية يونس للاعتداد بالمسموع ايضا ، فهداه منطقه الى أنّ التاء هنا توكيد للتأنيث المعنويّ ، وتحقيق له » (١٢٧) .

٢ . قال ابن الانباريّ : « وكان السجستانيّ يسوّي بين كفيل وامير وهذا غلط منه ، لأن الامارة لاتكاد تكون في النساء ، والكفالة تكون في الرجال والنساء ، وقال ابو زيد الانصاريّ : سمعت العرب تقول : وكيلات ، فهذا يدلّ على وكيلة . » (١٢٨)

يبدو انّ الخلاف هنا آتٍ من خلافهما المذهبيّ ، فابن الانباريّ قاس على القليل في مثل (وكيلة) ، فيما نقله عن يونس ، على حين

---

(١٢٦) المذكر والمؤنث ق ١٣١ .

(١٢٧) المخصص ١٦/١٠٠ .

(١٢٨) المذكر والمؤنث ١٤٨ وينظر : المخصص ١٦/١٠٠ قد ذهب ابن سيده مذهب ابن الانباري ، وانكر ابن سيدة ايضا فرسة ١٦/١٠٥ .

كان مذهب ابي حاتم القياس على الشائع والكثير ، غير انّ ابا حاتم لم ينكر مقالة ابي زيد ، وانما قبلها ، واستدرك بها اطلاقه القول في التسوية بين المذكر والمؤنث فيما كان من الاوصاف على (فعيل) بمعنى (مفعول) ، وقد ردّ ابن الانباريّ على ابي حاتم بما ذكره ابو حاتم نفسه صنيعه في المسألة الاولى ، ثم ان ابا حاتم حكّم القياس في الامر : فهداه ذلك الى ارتضائه ، وان كان قليلا ، قال ابو حاتم : « تقول : فلانة وصيّ فلان ، وهي كفيلي وعديلي ... لأن الغالب على هذا الباب ، الذكور .

وكذلك فلانة شاهد لي ، وفلانة اميرنا ، وأميرنا امرأة ، وربّما قالوا : كفيلة ووصيّة وجريّة (١٢٩) ، ونحوها بالهاء على القياس ، وعلى شركة المذكر ، قال ابن همّام السلوليّ :

فلو جاؤوا ببرّة أو بهند لبايعنا أميرةَ مُؤمنينا » (١٣٠)

وقال بعد ذلك :

« وحدّثني ابو زيد الانصاريّ انّه سمع من بعض العرب : وكيلات ، وجريّات ، وعدلات » (١٣١)

ولم يكن ما قاله ابن الانباريّ مغايراً لهذا ، ولا مختلفاً معه ، وقد ورد له قوله : « وربّما ادخلوا الهاء ، واضافوا ، فقالوا : فلانة اميرة بني فلان ، ووكيلة بني فلان ، ووصيّة بني

---

(١٢٩) والجرى : الوكيل ، الواحد والجمع والمؤنث في ذلك سواء . (اللسان / جرا ١٤/١٤٢)، ونقل عن ابي حاتم قوله : وقد يقال للانثى : جرية بالهاء . ومن معاني الجري : الرسول والخادم .

ونقل صاحب المخصص ١٧/٣٥ ان ابا حاتم قال : وقد قالوا في المؤنث جرية ، وهو قليل .

(١٣٠) المذكر والمؤنث ١٢٢ آ .

(١٣١) نفسه ١٢٢ ب .

فلان . » (١٣٢) ، ثم استشهد ببيت ابن همّام السلولي .

ولو جمعنا ما تفرّق من كلام ابي بكر بعضه الى بعض ، وقابلنا به كلام ابي حاتم ، لوجدناهما متطابقين في الدلالة كلّ التطابق ، وان اختلفا في العبارة بعض اختلاف ، ومن هنا لم يكن لطعن ابن الانباريّ على ابي حاتم من مسوّغ .

٣ . قال ابن الانباريّ : « وقال السجستاني : الرِّجل من كلّ شيء مؤنثة وقال : الرجل من الجراد مؤنثة ، وقال : وهي بمنزلة الخِرقة من الجراد ولم يحك تأنيث رجل الجراد عن احد ، انّما قاله بالقياس والرأي ، والقياس يوجب تذكيره ، لأنه بمنزلة السّرب . » (١٣٣)

امّا الحكاية التي يعتدّ بها ، وتنسب الى صاحبها ، فهي المخالفة للمألوف الشائع ، وليس ثمّة خروج على العموم ، وامّا القياس الذي استشفّه ابن الانباري ، وافترض خطأه ، فليس بصواب ، فقد كان قياس ابي حاتم على انّ (رجل الجراد) هي بمعنى (خرقة جراد) ، أي : (قطعة منه) ، وكلّ مؤنث ، فقياسه اذن ، صحيح . قال ابو حاتم : « والرجل مؤنثة وثلاث ارجل ، وليس لها جمع غير الارجل ، وكذلك رجل من جراد ومن دبا ، وخرقة من جراد ، أي : قطعة منه . » (١٣٤)

أما حملة على انّ معناه (السّرب) ، هو مذكر ، فالقياس التذكير فذلك افتراض هو من شأن ابي بَكر ، فإذا كان له ما يعضده من

(١٣٢) المذكر والمؤنث ١٤٨ .

(١٣٣) المذكر والمؤنث ٢٠٠ .

(١٣٤) المذكر والمؤنث ١٥١ ب ، ١٥٢ أ .

المسموع جاز وإلاّ فمقالته ليست صحيحة ، ولم يك ما أورده أبو حاتم مجانباً للصواب .

٤ . قال ابن الانباريّ : « والعاتق من الإنسان ، قال السجستاني : هو مذكر وانكر التأنيث ، وهذا خطأ منه ، لإنّ ابا العبّاس أخبرنا عن سلمة عن الفرّاء أنّ العاتق تذكر وتؤنث ، وأنشدنا سلمة عنه في التأنيث :

لا صلحَ بيني فاعلموه ولا   بينَكم ما حَملتْ عاتقي
سيفي ومـا كنّا بنجدٍ وما   قَرْقَرَ قُمْرُ الوادِ بالشاهقِ (١٣٥)

وقد أنكر ابو حاتم رواية التأنيث ، كما ردّ البيتين بقوله :

« وأنشدوا فيه بيتاً ليس بثبت ولا عن ثقة . » (١٣٦)

والبيتان ، في واقع الامر ، ليسا واضحي النسبة ، اذ يتنازعهما هماوبيتاً ثالثاً أكثر من شاعر ، والخلاف ثمّة مذهبيّ ، فالكوفيون يلتمسون الروايات ويقبلونها ، على حين يغالي البصريون في الاتجاه العام ، في تحريّ الروايات وتوثيقها .

وأمّا في تحقيق جنس (العاتق) فهو يذكر ويؤنث عند الفراء (١٣٧) ، ابي عبيد (١٣٨) وابي البركات الانباريّ (١٣٩) ، وصاحب اللسان (١٤٠) ، وقيّد ابو موسى الحامض (١٤١) ، واحمد ابن فارس (١٤٢)

(١٣٥) المذكر والمؤنث ، ٢٠٨ . (١٣٦) المذكر والمؤنث ١٤٥ .

(١٣٧) المذكروالمؤنث ٧٧ . (١٣٨) الغريب المصنف ٥٣٣ . (١٣٩) البلغة ٧١ .

(١٤٠) اللسان (عتق) ١٠/٢٣٧ ، ٢٣٨ ، قال : « والعاتق .... مذكر ، وقد أنث ، وليس بثبت . »

(١٤١) ما يؤنث ويذكر ٢٦ ، وقال في ٢٧ : « ذكر ، ورد عمر بن حيوية بانه ذكر وأنثى ، واستشهد بالبيتين ، وبقول الشاعر :

وما المولى وان عرضت قفـاه

(١٤٢) المذكر والمؤنث ٥٥ .

التأنيث بأنّه غير فصيح ، قالا : « والعاتق مذكر ، وربّما أنّثوه ، وليس بالفصيح » .

وهو مذكر في الاختصار (١٤٣) ، وعند اللحياني (١٤٤) .

وخالفه ابن برّى (١٤٥) ، بذهابه الى التأنيث مستشهدا بالبيتين وقبلهما ثالث :

لا نسبَ اليومَ ولا خلّةٌ اتّسعَ الفتْقُ على الراقعِ

وعزاها لابي عامر جدّ العباس بن مرداس ، وقال : ومن روى البيت الاول اتسّع الخرق على الراقع فهو لأنس بن العباس بن مرداس من هنا كان ما ذهب اليه ابن الانباريّ ، هو ما كان عليه الاكثرون .

هذه مواضع من مناقشات ابن الانباري لابي حاتم ، وثمّة مواضع اخرى (١٤٦) ، ليس لها شأن يوجب شرحها وتفصيل القول فيها .

ب . المخصص لابن سيدة

يقوم الجزآن السادس عشر والسابع عشر في معظم موادّهما على ظاهرة التذكير والتأنيث بتفصيل واف ، ونقل كثير عن اللغويين ، وإنْ كان وقع له شيء من الوهم او السهو (١٤٧) ، إذ لم يُشِرْ في طائفة كبيرة ممّا نقل الى مَنْ أفاد منهم ، وقد عوّل على أبي حاتم في مسائل مهمّة ، وان كانت محدودة (١٤٨) ويقيناً أنّ ما لم ينبه اليه أكثر .

(١٤٣) في التذكير والتأنيث ٢٧ . (١٤٤) اللسان (عتق) ٢٣٨/١٠ . (١٤٥) نفسه .

(١٤٦) ينظر : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦١٣ وهامشها ، ٦٢٥ وهامشها .

(١٤٧) من ذلك ما نقله عن كتاب ابن الانباري بلا عزو ، ينظر مقدمة المذكر والمؤنث ٦٤ ، ٦٥.

(١٤٨) ينظر : المخصص ١٠٠/١ ، ١٠١ ، ١٢١/١٧ (اكثر من موضع) ، ٣٥/١٧ ، ٤٨/١٧ ، ١١٩/١٧ ، ١٢٦/١٧ .

ولم أجد بي حاجة الى ذكرها ، لأن ابن سيدة كان ناقلا حسب ، ويستطيع الباحث الرجوع اليها في مظنتها .

وبعـــد .

فقد وضح لنا في ضوء ما تقدّم :

١ ـ أن كتاب المذكر والمؤنث هـو الكتـاب المفرد الذي يكشف بصراحة عن شخصية ابي حـاتم اللغويـة والنحويـة لان كتبـه التـي وصلت الينا لا تحدد الا يسيرا من قسماته في الدرس اللغوي .

٢ ـ وانّه كان خلاصة وافية للغات القبائل ، واقوال علمــاء اللغة الاوائل في ظاهرة مهمة من ظواهر اللغة ، مع تعليلات عقليــة احيانا .

٣ ـ وأنّه بازاء كتب التذكير والتأنيث الاولى : كتـاب الفـراء ، ومختصر المفضل بن سامة ، اوسعها ، واكثرهـا استقصاء ، واعمقهـا بحثا .

٤ ـ وأنّ منطق اللغة لا ينسجم مع منطق اللغويين ومقاييسهـــم الا لماما .

٥ ـ وأنّ ظاهرة التذكير والتأنيث ، وقـد كتب فيهـا كثير من المحدثين ، ماتزال تنتظر من يدرسها بتدقيق واستقراء بعد الاحـاطـة بمـادتها الاوليـة في كـتبهـا التي برزت من ركام التاريخ ، لان الدراسات السابقة كانت قاصرة ومحدودة .

